

تفسير سورة الأنفال (70-75)

تفسير سورة الأنفال (70-75)

{يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لِمَنْ فِي أَيْدِيكُمْ مِنَ الْأَسْرَى إِنْ يَعْلَمُ اللَّهُ فِي قُلُوبِكُمْ خَيْرًا يُؤْتِكُمْ خَيْرًا مَمَّا أَخْذَ مِنْكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ (70)}

{يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لِمَنْ فِي أَيْدِيكُمْ مِنَ الْأَسْرَى} قل للأسرى الذين أسرتهموهم من المشركين يوم بدر وأخذتم منهم الفداء **{إِنْ يَعْلَمُ اللَّهُ فِي قُلُوبِكُمْ خَيْرًا}** أي: إيماناً **{يُؤْتِكُمْ خَيْرًا مَمَّا أَخْذَ مِنْكُمْ}** يعطكم خيراً من الفداء الذي أخذ منكم **{وَيَغْفِرْ لَكُمْ}** ذنوبكم **{وَاللَّهُ غَفُورٌ}** لمن تاب من عباده **{رَحِيمٌ}** به.

{وَإِنْ يُرِيدُوا خِيَانَتَكَ فَقَدْ خَانُوا اللَّهَ مِنْ قَبْلٍ فَأَمْكَنَ مِنْهُمْ وَاللَّهُ عَلَيْمٌ حَكِيمٌ (71)}

{وَإِنْ يُرِيدُوا} يعني الأسرى **{خِيَانَتَكَ}** أي الغدر بك والمكر والخداع، بإظهارهم لك بالقول خلاف ما في نفوسهم **{فَقَدْ خَانُوا اللَّهَ مِنْ قَبْلٍ}** فقد خالفوا أمر الله من قبل وقعة بدر **{فَأَمْكَنَ مِنْهُمْ}** المؤمنين ببدر حتى قتلواهم، وأسروهם **{وَاللَّهُ عَلَيْمٌ}** بما يقولون بالسنن ويخفونه في نفوسهم **{حَكِيمٌ}** في تدبيرهم وتدبير أمور خلقه.

{إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَهَاجَرُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ آوَوْا وَنَصَرُوا أُولَئِكَ بَعْضُهُمُ أُولَيَاءُ بَعْضٍ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يُهَاجِرُوا مَا لَكُمْ مِنْ وَلَلَّا يَتَمَّمُ مِنْ شَيْءٍ حَتَّىٰ يُهَاجِرُوا وَإِنْ اسْتَنْصَرُوكُمْ فِي الدِّينِ فَعَلَيْكُمُ الْنَّصْرُ إِلَّا عَلَىٰ قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ مِيثَاقٌ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ (72)}

{إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا} بالله وصدقوا رسوله واتبعوه وعملوا بشرعه

{وَهَا جَرُوا} أي: هجروا قومهم وديارهم، يعني المهاجرين من مكة
{وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ} لإعلاء كلمة الله **{وَالَّذِينَ أَوْفَوا}** {رسول الله صلى الله عليه وسلم والمهاجرين معه، أي: أسكنوهم منازلهم **{وَنَصَرُوا}** أي: ونصرتهم على أعدائهم، وهم الأنصار رضي الله عنهم **{أُولَئِكَ}** المهاجرين والأنصار **{بَعْضُهُمُ أُولَيَاءُ بَعْضٍ بَعْضٍ}** {بعضهم أنصار بعض، وأعوان بعض على من سواهم من}

المشركين، وأيديهم واحدة على من كفر بالله، وبعضهم إخوان لبعض دون أقربائهم الكفار.

{وَالَّذِينَ آمَنُوا} بالله ورسوله **{وَلَمْ يُهَاجِرُوا}** قومهم الكفار، ولم يفارقوه دار الكفر إلى دار الإسلام **{مَا لَكُمْ مِنْ وَلَلَّا يَتَّهِمُ}** نصرتهم **{مِنْ شَيْءٍ حَتَّى يُهَاجِرُوا}** إلى أن يهاجروا **{وَإِنِ اسْتَنْصَرُوكُمْ فِي الدِّينِ}** أي: طلب المؤمنون الذين لم يهاجروا منكم النصر **{فَعَلَيْكُمُ الْنَّصْرُ}** فانصرتهم، ومعنى **{فِي الدِّينِ}** أي بأنهم من أهل دينكم **{إِلَّا عَلَى قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ مِيثَاقٌ}** عهد فلا تنصرهم عليهم **{وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ}** يراهم ويبصره، فلا يخفى عليه شيء، وسيجازيكم عليه.

وقد قيل: إنما عنى بذلك أن بعضهم أولى بميراث بعض، وأن الله ورث بعضهم من بعض بالهجرة والنصرة، فكان يرى المهاجرين من الأنصار والعكس، دون القرابة والأرحام، وأن الله نسخ ذلك بعد قوله: **{وَأُولُو الْأَرْحَامِ بَعْضُهُمُ أُولَيَاءُ بَعْضٍ}** [الأحزاب: 6].

{وَالَّذِينَ كَفَرُوا بَعْضُهُمُ أُولَيَاءُ بَعْضٍ إِلَّا تَفْعَلُوهُ تَكُنْ فِتْنَةٌ فِي الْأَرْضِ وَفَسَادٌ كَبِيرٌ (73)

{وَالَّذِينَ كَفَرُوا بَعْضُهُمُ أُولَيَاءُ بَعْضٍ} يجمعهم الكفر فينصر بعضهم بعضاً **{إِلَّا تَفْعَلُوهُ}** إن لم توالوا المؤمنين وتعادوا الكافرين **{تَكُنْ}** تقع **{فِتْنَةٌ فِي الْأَرْضِ وَفَسَادٌ كَبِيرٌ}** قال ابن كثير: أي: إن لم تجنبوا

المشركين وتوالوا المؤمنين، وإنما وقعت الفتنة في الناس، وهو التباس الأمر، واختلاط المؤمن بالكافر، فيقع بين الناس فساد منتشر طويل عريض. انتهى

وقال السعدي: لما عقد الولاية بين المؤمنين، أخبر أن الكفار حيث جمعهم الكفر وبعضهم أولياء لبعض؛ فلا يواليم إلا كافر مثلهم.

وقوله: {إِلَّا تَفْعَلُوهُ} أي: موالة المؤمنين ومعاداة الكافرين، بأن واليتموهم كلهم أو عاديتموهم كلهم، أو واليتم الكافرين وعاديتم المؤمنين. {تَكُنْ فَتْنَةٌ فِي الْأَرْضِ وَفَسَادٌ كَبِيرٌ} فإنه يحصل بذلك من الشر ما لا ينحصر من اختلاط الحق بالباطل، والمؤمن بالكافر، وعدم كثير من العبادات الكبار، كالجهاد والهجرة، وغير ذلك من مقاصد الشرع والدين التي تفوت إذا لم يتخذ المؤمنون وحدهم أولياء بعضهم البعض. انتهى

{وَالَّذِينَ آمَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ آوَوْا وَنَصَرُوا
أُولَئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًا لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ} (74)

{وَالَّذِينَ آمَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ} المهاجرون {وَالَّذِينَ
آوَوْا وَنَصَرُوا} الأنصار {أُولَئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًا} ولا شك في إيمانهم
قيل: حقووا إيمانهم بالهجرة والجهاد ويدل المال في الدين {لَهُمْ مَغْفِرَةٌ
وَرِزْقٌ كَرِيمٌ} في الجنة.

{وَالَّذِينَ آمَنُوا مِنْ بَعْدِ وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا مَعَكُمْ فَأُولَئِكَ مِنْكُمْ وَأُولُو
اللَّأْرَحَامِ بَعْضُهُمُ أُولَى بِعِظَمٍ فِي كِتَابِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ}
(75)

{وَالَّذِينَ آمَنُوا مِنْ بَعْدِ} أي بعد تبياني ما بينت من ولادة المهاجرين
والأنصار بعضهم بعضاً {وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا مَعَكُمْ فَأُولَئِكَ مِنْكُمْ} أيها

المهاجرون والأنصار، هذه الموالاة الإيمانية - وقد كانت في أول الإسلام - لها وقع كبير و شأن عظيم، حتى إن النبي صلى الله عليه وسلم آخى بين المهاجرين والأنصار أخوة خاصة، غير الأخوة الإيمانية العامة، وحتى كانوا يتوارثون بها، فأنزل الله **{وَأُولُو الْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أُولَى بِبَعْضٍ فِي كِتَابِ اللَّهِ}** فلا يرثه إلا أقاربه، قوله: **{فِي كِتَابِ اللَّهِ}** أي: في حكم الله الذي كتبه في اللوح المحفوظ والسابق من القضاء **{إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ}** إن الله عالم بما يصلح عباده في توريثه بعضهم من بعض في القرابة والنسب دون الحلف بالعقد، وبغير ذلك من الأمور كلها، لا يخفى عليه شيء منها.